من إلياذة هوميروس إلى إلياذة الجزائر: دراسة مقارنة.

أمينة فزاري
جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف

تاريخ الاستلام:2020/11/03 تاريخ القبول: 2022/07/02 تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

موضوع مقالنا هذا هو دراسة مقارنة بين إلياذة هوميروس و إلياذة الجزائر، و هدفه هو تطبيق المنهج الأسطوري في الدراسة المقارنة، و نتيجته هي استنتاج عالمية الأدب أي أن الأدب الجزائري منفتح على الأدب الإغريقي و بينهما علاقة تأثير و تأثر.

الكلمات المفاتيح: الملحمة– بلاد الإغريق– الجزائر– (إلياذة هوميروس)– (إلياذة الجزائر)– المنهج الأسطوري– المنهج المقارن– النقد الأسطوري– نورثروب فراي– التجلي– المطاوعة– الإشعاع– التأثير و التأثر

Résumé :

L'objet de cet essai est l'étude comparée entre l'Illiade de Homère et l'Iliade de l'Algérie, et son but est la pratique du méthode historique dans l'étude comparée , et son résultat est la modalité de la littérature , c'est à dire il y a une relation entre la littérature algérienne et la littérature grecque .

أولا : النقد الأسطوريMythocritique

ظهرت تسمية (النقد الأسطوري) أو (النقد الأنموذجي) أول ما ظهرت في المقالة الثالثة من كتاب (تشريح النقد: مقالات أربع) [1] لنورثروب فراي [2] سنة 1957م، و استمد النقد الأسطوري مادته الغزيرة من دراسات موغان و فريزر و مالينوفسكي و كارل غوستاف يونق و نورثروب فراي و سواهم [3] ، و استقى أفكاره من علوم مساعدة هي : علم النفس و الأنثروبولوجيا و التايبولوجيا (علم اللاهوت) ،[4] وحفي باهتمام كبير في النصف الأول من القرن العشرين. [5]

بيد أن التبلور الحقيقي للنقد الأسطوري كان مع ظهور كتاب (تشريح النقد : مقالات أربع) لنورثروب فراي الذي بنى النقد الأسطوري على ما يلي :

1- **الأنماط العليا أو النماذج البدئية** : استفاد نورثروب فراي من كارل غوستاف يونق من فكرة (اللاشعور الجمعي) في أن ثمة أنماطا أولية قابعة في اللاوعي الجمعي للبشرية أو الذاكرة الجمعية للإنسان ؛ و هذا يعني أن كل إنسان يرث قابلية لتوليد الصور الكونية التي وجدت منذ دهور سحيقة في النفس حيث كان الإنسان مرتبطا بالطبيعة. و توصل نورثروب فراي إلى أن الأنماط الأولية هي أساطير لا بد أن تتجلى في الأدب و مهمة النقد الأدبي هي الكشف عنها و إظهار مدى التجلي و الانزياح و الانقطاع و التغيير و أساليب الأداء الجديدة التي خضعت لها ، و هي ما اصطلح على تسميته بـ :

أولا **التجليRépétition**

وثانيا المطاوعة التي تتشكل من مظهرين هما التماثل و التشابه و التشويهات والتغييرات Relation

وثالثا الإشعاع. Analogie

و الأنماط الكبرى أو الأنماط الأولية في تعريفها "هي عبارة عن تصورات واجه بها الإنسان الكون و الطبيعة و المجتمع و الطبيعة البشرية البيولوجية. و هذه الأنماط هي لا شعورية نمارسها في حياتنا اليومية" [6] ، و هذا يعني أن هذه الأنماط الأولية هي مجموع الترسبات الفكرية اللاشعورية في النفس الإنسانية ؛ فهي "أنماط واقعية بمعنى أن الواقع الوجداني هو الذي أفرزها و ليس بمعنى وجودها المادي . إنها نشاط نفسي و آلية من آليات النفس في الدفاع عن ذاتها و في تحقيق أغراضها ، إنها الرغائب و قد تجسدت في صور. و هي مشتركة بين الناس جميعا لأنها ناجمة عن واقعهم كذكر و أنثى و كعلاقات متواشجة و متضاربة و معقدة . و قد ترسبت هذه الآلية في الأعماق إلى درجة أنها أصبحت لغة كاملة متماسكة آسرة لا فكاك منها. إنها إطار يتحرك في داخله النزوع الإنساني و لكنها في الوقت نفسه لغة منسية ، و الذي جعلها منسية هو الوعي الاجتماعي القمعي الذي حرم تداولها و منع الناس من التعامل بها و اعتبرها عملة باطلة".[7] إذن يرث الجيل اللاحق عن الجيل السابق مجموعة من الأفكار و الرؤى و المعتقدات و التصورات بحيث تكون مغروسة في أعماقه أو –على حد تعبير يونق– في لاشعوره الجمعي.

و الأنماط الكبرى أو الأولية في نظر نورثروب فراي تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي : المعنى الأعلى (1) و هو الصور الرؤيوية في الأسطورة أو الجنة في الدين – المعنى الأعلى (2) و هو الصور الجهنمية – المعنى الأعلى (3) و هو الصور المثيلة. و في ما يلي نظرية نورثروب في ذلك :

أ– الصور الرؤيوية :

يستمد نورثروب فراي نظريته هذه من الكتاب المقدس إذ يقول : "نجد أن العالم الرؤيوي في الكتاب المقدس يقدم لنا النموذج التالي :

العالم الإلهي= مجتمع الآلهة= الإله الواحد

العالم الإنساني= مجتمع البشر= الإنسان الواحد

العالم الحيواني= الحظيرة= الحمل الواحد

العالم النباتي= الجنينة أو المتنزه= الشجرة الواحدة (شجرة الحياة)

عالم الجمادات= المدينة= البناية الواحدة ، المعبد ، الحجر".[8]

حيث يرى أن الإله الواحد يمثله المسيح –عليه السلام– و الإنسان الواحد يمثله البشر من أبناء آدم –عليه السلام– و الحمل الواحد هو ممثل العالم الحيواني و شجرة الحياة هي ممثل العالم النباتي و المدينة أو المعبد هو ممثل عالم الجمادات و من الممكن –على حد قوله– أن تكون هذه المدينة القدس.

ب– الصور الجهنمية :

يرى نورثروب فراي أن الصور الجهنمية مقسمة بدورها إلى أربعة أقسام هي : صور العالم الإلهي و صور العالم الإنساني و صور العالم الحيواني و صور العالم النباتي و صور عالم الجمادات ؛ حيث "يجسد العالم الإلهي الجهنمي قوى الطبيعة الهائلة المتربصة الحمقاء كما يبدو لمجتمع متخلف تكنولوجيا"،[9] "أما العالم الإنساني الجهنمي فهو مجتمع تشده توترات جزيئية تتصارع فيها كل أنا مع الأنا الأخرى و يسوده الولاء للجماعة أو للزعيم بحيث تمحي شخصية الفرد أو / في أحسن الحالات تتعارض متعته مع واجبه أو شرفه"[10] ،و "العالم الحيواني تملأه / المخلوقات المخيفة و الحيوانات الضارية و أشيعها الذئب العدو التقليدي للحمل ، و النمر و النسر و الأفعى ذو الدم البارد الذي يظل لصيق الأرض ، و التنين" [11] ، "أما عالم النبات فغابة خبيثة كتلك التي تصادفنا في قصيدة كومس أو مطلع الجحيم أو هي البرية التي ظلت تتصل منذ أيام شكسبير إلى أيام هاردي بالمصير الفاجع أو المفازة كما في "تشايلد رولاند" لبراوننغ أو يباب إليوت" [12] ، و"يظل عالم الجمادات على شكله الأولي : صحاري و صخورا و أرضا بلقعا كذلك تنتمي مدن الدمار و الليالي المخيفة إلى هذا النوع هي و حطام المفاخر الخاوية من برج بابل إلى أعمال أوزيماندياس الهائلة". [13]

ج–**الصور المثيلة** : هي الصور التي تقدم المثيل للصور الرؤيوية و المثيل للصور الجهنمية ؛ مثيل الخير (البراءة) و مثيل الشر . و يرى نورثروب فراي أن هناك أربعة حركات أسطورية : حركة داخل الرومانس و حركة داخل الواقعية و حركة نحو الأسفل و هي المأساة و حركة نحو الأعلى و هي الكوميديا [14] ؛ لذلك فهو يشرح دورة الحياة في الطبيعة التي تتجسد بدورها في الأسطورة التي تتجسد بدورها في الأدب :

قصة الربيع : الكوميديا

قصة الصيف : الرومانس

قصة الخريف : المأساة

قصة الشتاء: الملهاة. [15]

بنية الأسطورة:Structure du mythe

لا بد من الانطلاق من بنية الأسطورة حتى نستطيع فهم بنية النص الأدبي الذي وظف هذه الأسطورة و هذا يستدعي العودة إلى النموذج الأولي الذي ترسب في لاشعور الأديب ؛ و بعبارة أخرى حتى نفهم رواية (أحلام شهرزاد) لطه حسين لا بد من العودة أولا إلى الأصل الذي وظفه طه حسين و هو (ألف ليلة و ليلة) . و سواء أكان التشابه بين الأسطورة و النص الأدبي تاما أم ناقصا فإن مسؤولية الناقد من وجهة نظر أسطورية لا بد أن تكشف عن أوجه التشابه و أوجه الاختلاف بينهما.

بنية النص:Structure du texte

يرى نورثروب فراي أن ثمة ثلاثة تنظيمات للأساطير و الرموز العليا في الأدب هي :

أ– عالم الأسطورة المرغوب و المرهوب الذي يتألف من الآلهة و الشياطين و الذي يعبر عنه الدين بالجنة و جهنم . و هذا ما يصطلح على تسميته بـ التجلي (Répétition).

ب- عالم الإيحاء بأنماط أسطورية ضمنية . و هذا ما يصطلح على تسميته بـ المطاوعة (Relation) التي تتشكل من التشابه و التماثل و من التشويهات و التغييرات.

ج- عالم الواقعية أو تحديد مضمون النص و هدفه . و هو ما يصطلح على تسميته بـ الإشعاع Analogie.[16] فهو يرى أن "هذا الشبه بين ما هو أسطوري و بين ما هو أدبي مجرد يوضح العديد من جوانب القصص خاصة القصص الشعبية التي يبلغ من واقعيتها أن أحداثها مقنعة و من رومنسيتها أنها تزودنا بحكاية ممتعة أي بقصة حسنة التصميم".[17]

بقي لنا في الأخير أن نذكر محتوى كتاب (تشريح النقد: مقالات أربع) الذي يتمثل في ما يلي:

مقدمة جدلية

المقالة الأولى: النقد التاريخي : نظرية الأنماط

الأنماط القصصية : مقدمة

الأنماط القصصية المأساوية

الأنماط القصصية الكوميدية

الأنماط "الثيمية"

المقالة الثانية: النقد الأخلاقي: نظرية الرموز

مقدمة

المرحلتان الحرفية و الوصفية : الرمز "موتيفا" و علامة

المرحلة الشكلية : الرمز صورةً

المرحلة الأسطورية : الرمز نموذجا أعلى

المرحلة التأويلية : الرمز بؤرةً

المقالة الثالثة: النقد النموذجي : نظرية الأساطير

مقدمة

نظرية المعنى الأعلى (1) : الصور الرؤيوية

نظرية المعنى الأعلى (2) : الصور الجهنمية

نظرية المعنى الأعلى (3) : الصور المثيلة

نظرية القصة [النوعية] : مقدمة

قصة الربيع : الكوميديا

قصة الصيف : الرومانس

قصة الخريف : المأساة

قصة الشتاء : السخرية و الهجاء

المقالة الرابعة: النقد البلاغي: نظرية الأنواع الأدبية

مقدمة

إيقاع التكرار: الخطاب

إيقاع الاستمرار: النثر

إيقاع اللياقة: الدراما

إيقاع الارتباط : القصيدة الغنائية

أشكال محددة من الدراما

أشكال ثيمية محددة (القصيدة الغنائية و الخطاب)

أشكال متصلة محددة (القصة النثرية)

أشكال متصلة محددة

بلاغة النثر غير الأدبي

خاتمة غير نهائية[18]

الملحمة شعر قصصي قومي بطولي يتميز بالطول النسبي ، و تنقسم الملحمة إلى نوعين : الأول الملحمة البدائية و هي التي تروي أحداثا تاريخية حقيقية أو يظنها الناس حقيقية و من أمثلتها : الملحمة التاريخية ممثلة في ملحمة (الإلياذة) لهوميروس ، و الملحمة الدينية مثل (سفر أيوب) ، و ملحمة الصراع بين الخير و الشر ممثلة في ملحمة (جلجامش) السومرية ، و الملحمة الحربية ممثلة في (الأوديسا) لهوميروس ، و الثاني الملحمة التقليدية و هي التي ينسجها الشاعر محتكما إلى عقله و فكره لا على العاطفة و الارتجال و العفوية و من أمثلتها ملحمة (الإنياذة) لفرجيل. [1] و من أشهر الملاحم العالمية نذكر :

1- ملحمة (الإلياذة) لهوميروس ، و هي ملحمة يونانية قديمة.

2- ملحمة (الأوديسة) لهوميروس ، و هي ملحمة يونانية قديمة.

3- ملحمة (المهابهراتا) ، و هي من تأليف أجيال من المؤلفين ، و هي ملحمة هندية قديمة عرفت منذ ق . 3.ق.م.(أكثر من 200000بيت)

4- ملحمة (الرامايانا) ، و هي ملحمة هندية قديمة لم يعرف مؤلفها و لا تاريخ وضعها. (14000مقطعا)

5- ملحمة (جلجامش) ، و هي ملحمة مجهولة المؤلف سومرية قديمة.

6- ملحمة (الإنياذة) لفرجيل ، و هي ملحمة رومانية قديمة ألفت بين عامي 29 ق.م و ق 19ق.م .(12 نشيدا)

7- ملحمة (الشاهنامة) أو (كتاب الملوك) للفردوسي ، و هي ملحمة فارسية كتبت حوالي عام 1020م.أهداها ناظمها إلى السلطان الغزنوي محمود.

8- ملحمة (الكوميديا الإلهية) أو (المهزلة الكومدية) لدانتي أليغيري ، و هي ملحمة إيطالية نظمها صاحبها بين 1307 و 1321م.تتألف من ثلاثة أقسام : الجحيم و المطهر و الجنة و كل قسم من 33 نشيدا. (132 نشيدا)

9- ملحمة (الفردوس المفقود) لجون ملتون ، و هي ملحمة إنجليزية ألفها صاحبها سنة 1665م. (12 نشيدا)

10- ملحمة (الفردوس المستعاد) لجون ملتون ، و هي ملحمة إنجليزية.

11- ملحمة (حشرجة شمشون) لجون ملتون ، و هي ملحمة إنجليزية ألفها صاحبها سنة 1671م .[2].

بيد أننا نضيف إلى هذه الملاحم الشهيرة ملحمة جزائرية هي (إلياذة الجزائر) لمفدي زكرياء في محاولة لدراستها دراسة مقارنة مع (الإلياذة) لهوميروس، فما حقيقة الارتباط بين هتين الملحمتين ؟

و قبل تحديد هذا أو توضيح ذاك ، نقول بكل إيجاز ووضوح إن الدكتور أبو القاسم سعد الله أشار إشارة طفيفة إلى إلياذة الجزائر في معرض تساؤله عن نشأة الملاحم في الأدب الجزائري المعاصر تحت العنصر الأخير من كتابه الذي يحمل عنوان (دراسات في الأدب الجزائري الحديث) تحت عنوان (أرض الملاحم : في طريق إلياذة جزائرية) ، لكنه لم يفصل القول و لم يتناول القضية من جميع زواياها .[3].

الواقع أن الدارسين الجزائريين يقسمون الشعر الجزائري إلى ثلاثة أقسام كبرى ، هي : (شعر النضال) و(شعر الوجدان) و(شعر الطبيعة) و إلى (شعر الإصلاح) و(شعر الثورة) و (شعر السياسة) [4]، و يقسمون الأدب الجزائري إلى ثلاثة تيارات كبرى ، هي: (التيار التقليدي) و(التيار الرومانتيكي) و(التيار الواقعي)[5]؛ إذ يقول الدكتور صالح خرفي : "اعتاد المتحدثون عن الشعر العربي المعاصر أن يدرجوه تحت ثلاث عناوين بارزة (شعر النضال) و (شعر الوجدان)و (شعر الطبيعة) (....) [و] من الممكن أن نقول هناك طور إصلاحي، وآخر سياسي، و ثالث ثوري ، و لكن من الصعوبة بمكان المجازفة بوضع فواصل لهذا الشعر، فهو شعر الإصلاح و الثورة و السياسة في طول هذه الفترة ينتظمها جميعا في موقف واحد، و قد يتغنى بها كلها في قصيدة واحدة"[6] ، و يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله في

(دراسات في الأدب الجزائري الحديث) أن أهم التيارات الأدبية التي ظهرت في الجزائر ثلاثة: التيار التقليدي و التيار الرومانتيكي و التيار الواقعي[7].

والغرض من هذا أن نقول إن شعر مفدي زكرياء يندرج تحت إطار (شعر النضال) و(شعر الثورة) و (شعر السياسة). و لفهم طبيعة العلاقة التي تربط الإلياذة لهوميروس بإلياذة الجزائر. نتبع خطة مبسطة تتمثل في إعطاء بطاقة تعريفية لكل شاعر و لكل نص أولا ثم تطبيق منهج النقد الأسطوري على دراسة النصين ثانيا .

فهوميروس شخصية يحيط بها الغموض ؛ فثمة من يعترف بوجوده التاريخي و يرى أنه شاعر إغريقي ملحمي عاش في القرن التاسع أو أواخر القرن الثامن قبل الميلاد (ق9ق.م أو أواخر ق 8ق.م) ، و ثمة من يرى أنه شخصية أسطورية نسجها الخيال الغربي ، و يحيط الغموض و الاختلاف حتى باسمه و معناه فمنهم من يرى أن هوميروس تعني (الرهينة) و منهم من يرى أنها تعني (الرفيق) و منهم من يرى أنها تعني (الأعمى) ، و يدللون على ذلك بأنه هو نفسه أشار إلى عماه في شعره ، و منهم من يرى أنها تعني (رفيق الأعمى) ، و منهم من يرى أنها تعني (ملحن الأغاني) أو (مغني الألحان) . وقيل إن الإمبراطور هارديا نسأل معبد دلفي عمن كأنه هوميروس فأجابوه بأنه كان من إيثاكا و أبواه إبيكاسته و تليماخوس من الأوديسة. و قيل إن هوميروس هو اسم مستعار لقب به هذا الشاعر الإغريقي . أما آثاره فالبعض ينسب له ملحمتين هما : الإلياذة و الأوديسة ، و يقال إن الإلياذة هي أول ملحمة غربية. [8]

موضوع (الإلياذة) هو حصار طروادة أو إليون و هو جزء من حصار طروادة أو إليون حيث بنى هوميروس منظومته على أيام قلائل من السنة العاشرة لهذا الحصار ، الذي يصف وقائعه و الصراع و القتال بين اليونانيين و الطرواديين في نحو ستة عشر ألف شطر أو بيت ،واليونان كانت ممالك صغيرة تتحالف حينا و تتشاق طورا ، و طروادة أثناء الحرب كانت ممتدة من جنوبي آسيا الصغرى إلى الهلسبنطس و هو مضيق الدردنيل تدعى طرويا أو طروادة عاصمتها

إليون . و مجمل القصة أنه كان بين بلاد الإغريق و بلاد الطرواد صلة تجارة ونسب و حدث أن منيلاوس اليوناني ملك إسبارطة غاب عن عاصمته في مهمة و أن فاريس بن فريام الطروادي أوفد برسالة إلى إسبارطة فنزل ضيفا على منيلاوس و هو غائب فوقعت علاقة عاطفية بين فاريس و هيلانة زوجة منيلاوس فأحبته و فرت معه إلى بلاده . و هكذا نشأت الحرب بين الفريقين الإغريق و الطرواد لأن الإغريق لم يتمكنوا من استرجاع هيلانة بالطرق السلمية مما حملهم على محاصرة طروادة و هذا ما ألهم هوميروس موضوعا لملحمته التي بناها أساسا على بطل الأبطال الإغريقي آخيل ؛فقد وقعت بريسييس أو بريسا الطروادية أسيرة لآخيل ووقعت خريسييس أو خريسا الطروادية من سهم أقامنون الملك لكن أقامنون استولى على سبية آخيل مما أثار غضب هذا الأخيرالذي كاد يبطش بأقامنون لولا أن أثينا إلهة الحكمة صدته عن ذلك. و هذا ما جعله يعتزل القتال فلحقت الهزيمة بالإغريق إلى أن قتل هكتور الطروادي فطرقل صديق آخيل الذي قبل أن يقتل استعطف آخيل و رجاه في أن يتقلد سلاحه . و بهذا ثارت ثائرة آخيل و حمل على الطرواد حملة شرسة مزقت صفوفهم آخذا بثأر صديقه بعد أن صالح الملك أقامنون ، و لم يشف غليله إلا بعد أن قتل هكتور قاتل صديقه و قومه بل و مثل به. و في الأخير يهدأ غضب آخيل و يعيد لفريام جثة ابنه هكتور و يسيره آمنا . و هكذا تنتهي القصة بسكون و سلام . و من مظاهر الحيلة و الذكاء أن الإغريق أوجدوا حيلة طريفة للانتصار على الطرواد و هي أنهم صنعوا حصانا خشبيا و اختبؤوا فيه ووضعوه على أبواب طروادة فانخدع الطرواد و فتحوا الأبواب فقضى عليهم الإغريق. أما تتمة حوادث الإلياذة ، و التي لم يتعرض لها هوميروس في ملحمته فنذكر أهمها:

1- آخيل قتل قبل فتح إليون بسهم رماه به فاريس فأصابه بعقبه.

2- أقامنون غدرت به زوجته و معشوقها أقستوس عند غياب الملك عن البلد.

3- منيلاوس رجع بامرأته هيلانة فوصل بلاده بعد عناء ثمانية أعوام و لم يقم طويلا حتى مات.

4- فريام ملك طروادة ذبحه نيفطوليم بن آخيل أمام الهيكل.

5- فاريس بن فريام مات قتيلا قبل فتح إليون.

6- أوذيس لعبت بسفنه العواصف فهام عشرة أعوام على وجه المياه في حديث طويل بنى عليه هوميروس ملحمته الثانية (الأوذيسة).

إلى آخر الأحداث و الوقائع التي حدثت بعد فتح إليون . و يذهب المؤرخون إلى أن حرب طروادة كانت بين 1184ق.م و 1194ق.م . [9]

و ثمة حكاية طريفة ترتبط بقصة(إلياذة هوميروس) و هي أن الإلهات الثلاث هيرا و أثينا و أفروديت دعين إلى عرس و لكن ثيتس إلهة النزاع و الشقاق لم تدعى إلى هذا العرس لأنها مكروهة من طرف الجميع فحنقت هذه الأخيرة و صممت على الانتقام فرمت في وسط الجمع بتفاحة ذهبية و قالت : "للأجمل" فتنازعت الإلهات الثلاث حولها و حسما للنزاع احتكمن إلى إله الآلهة زوس فدلهم على تحكيم أجمل البشر و هو باريس بن فريام الطروادي و كان يعيش على جبل إيدا فوعدته هيرا، إن هو حكم لها بالتفاحة، بالعظمة الملكية ووعدته أثينا بالنصر في الحروب ووعدته أفروديت بأجمل النساء ليتزوجها و هكذا حكم لهذه الأخيرة فدلته على أجمل النساء و هي الملكة هيلينا زوجة الملك منيلاوس أخي الملك أقامنون اليوناني فبعث برسالة إلى الملك منيلاوس و نزل عليه ضيفا إلا أن منيلاوس كان غائبا عن المملكة فوقعت علاقة عاطفية بين باريس و هيلينا مما جعله يغريها ففرت معه إلى بلاده و بهذا نشبت الحرب بين اليونانيين و الطرواديين إذ حاصر اليونانيون طروادة مدة عشر سنوات إلى أن تمكنوا من إبادة الطرواديين عن آخرهم باستثناء قلة قليلة فرت إلى روما عاصمة إيطاليا و أنشأت هناك الإمبراطورية الرومانية . و بهذا تحققت مشيئة زوس الذي رأى ضرورة إنقاص العدد المكون للجنس البشري الذي تزايد بصورة هائلة . [10]

و قد عرب سليمان البستاني [1856-1925م] الإلياذة نظما في أربع و عشرين نشيدا (24 نشيدا) بإرفاقها بشرح تاريخي أدبي و تصديرها بمقدمة في هوميروس و شعره و آداب اليونان و العرب و تذييلها بمعجم عام و فهارس . طبعت في مصر سنة 1904م في 1260 صفحة كبيرة مزينة بكثير من رسوم آلهة اليونان . و قد بنى سليمان البستاني كتابه هذا على ستة أقسام:

1- **هوميروس** : حياته – نسبه- شعره- منزلته عند القدماء- رأي المتأخرين فيه- قول العرب فيه.

2- **الإلياذة**: موضوعها – نظمها و تناقلها- جمعها و كتابتها – صحة نسبتها- وحدتها- ارتباط أجزائها- سبب حياتها و خلودها- انتشارها و نقلها- إغفال العرب نقلها إلى لغتهم.

3- **التعريب** : حكاية المعرب في تعريب الإلياذة- أصول التعريب- مسلك المعرب- النظم في التعريب.

4- **الإلياذة و الشعر العربي**: الشعر القديم- صحة نسبته- مقابلة بين لغة قريش المضرية و لغة الإلياذة اليونية- أطوار الشعر العربي.

5- **الملاحم**: ضروب الشعر عند الإفرنج – ملاحم الأعاجم – ملاحم العرب- نظرة في الجاهليتين : جاهلية العرب و جاهلية اليونان – ملاحم الجاهليين – ملاحم المولدين- فعل الحضارة.

6- **الخاتمة**: نظرة إجمالية في مستقبل اللغة العربية وواجبات الشاعر إزاءها.[11]

و شخصيات (إلياذة هوميروس) مبنية على بطل الأبطال و الشخصيات الرئيسية و الشخصيات الثانوية ، و هذا كالآتي:

البطل : آخيل ، و هو ملك المزميذونة و بطل الأبطال.

الشخصيات الرئيسية :

أ- الشخصيات الإنسانية (البشرية):

الإغريق:

أقامنون: ملك ملوك الإغريق كنيته أتريد أو أتريذس.

منيلاوس: أخو أغامنون و ملك إسبارطة.

هيلانة: زوجة منيلاوس التي فرت مع فاريس بن فريام .

فطرقل: بطل إغريقي قتل في المعركة السادسة.

الطرواد:

فريام: ملك طروادة ذبحه نيفطوليم بن آخيل أمام الهيكل .

فاريس: ابن فريام ، و هو الذي فرت معه هيلانة زوجة منيلاوس إلى بلاد الطرواد.

هكتور: أخو فاريس و ابن فريام ، قتله آخيل لأنه قتل صديقه فطرقل.

ليقاوون: بطل طروادي ابن الملك فريام قتله آخيل.

ب- الآلهة:

زفس أو زوس: إله الآلهة الذي هو نصير آخيل.

هيرا: زوجة زفس و إلهة الزواج.

هيفست: ابن زفس و هيرا يلقب بالحداد و الصانع ، و هو الذي بنى قصور الآلهة و هو إله النار.

أثينا:ابنة زفس و هيرا و إلهة الحكمة ، و هي من أنصار الإغريق.

فيبوس: إله الشمس يلقب بآفلون و بابن لاطونة.

آريس: إله الحرب.

فوسيذ: إله العاطفة ، و هو من أنصار الإغريق.

أرطميس: إلهة ابنة زفس.

أونيروس: رب الطيف.

الكرى: أخو الموت.

إيريس: رسولة زفس إلى فريام.

إضافة إلى آلهة أخرى (آذيس –أرطميس –آنياس– الزهرة: أم آنياس.– فالاس –زنشس – آرس –أفروذيت).

ج– الطيف الخادع : الذي أرسله زفس أو زوس إلى أقاممنون.

الشخصيات الثانوية:

الإغريق:

ثيتيس: والدة آخيل و إحدى بنات الماء.

أوذيس: بطل من أبطال الإغريق و هو داهية الإغريق و حكيمهم.

ترسيت: إغريقي وقح سفيه.

نسطور: شيخ إغريقي.

إيريس: أبو عسقلاف.

عسقلاف: ابن إيريس .قتُل.

مخاوون: نطاسي.

ذيوميذ: بطل غغريقي له القدرة على التمييز بين الآلهة و البشر.

آياس:ابن تيلامون و هو بطل يوناني .

فوسيذ: إغريقي.

أفطوميذون.

ألقميذ.

مريون: بطل إغريقي.

أنطيلوخ: بطل إغريقي.

طفقير: بطل إغريقي.

إيريس.

فينيكس: أستاذ آخيل.

ريسوس: ملك الثراقيين.

إلاياسان: بطل إغريقي.

أمفيماخوس: بطل إغريقي.

ماخاوون: بطل إغريقي جرح في الواقعة الرابعة.

لمنوس .

أوريفيل.

أغستوس: معشوق زوجة أقامنون.

تليغون: ابن أوذيس.

الطرواد:

ذيفوب: أخو هكتور.

كسندرا: ابنة فريام و سبية أغامنون بعد قتل والدها فريام.

إستياناس: ابن أندروماخ ألقى به ابن آخيل عند فتح طروادة من شاهق.

خريسييس أو خريسا : فتاة طروادية فاتنة ابنة كاهن آفلون و اسمه خريس ، و هي أسيرة أقامنون.

بريسييس أو بريسا : فتاة طروادية فاتنة أسيرة آخيل.

خريس: كاهن آفلون ووالد خريسا.

العراف كلخاس.

فنداروس: طروادي أطلق سهما على منيلاوس و تسبب في إعادة نشوب الحرب من جديد.

قلوكوس: بطل طروادي زعيم الليقيين.

أندروماخ: زوجة هكتور و سبية ابن آخيل بعد قتل زوجها.

إسكمندريوس : طفل و هو ابن هكتور و أنذروماخ.

أنطينور: طروادي.

أوفرب : بطل طروادي قتل في المعركة السابعة.

سرفيدون : بطل طروادي.

فوليداماس: بطل طروادي.

آنياس: بطل طروادي.

أحد أبناء الملك فريام: قتل في معركة آخيل.

عسطروف: طروادي.

أقينور: بطل طروادي.

هيقاب: زوجة الملك فريام و سبية أوذيس بعد قتل زوجها فريام من طرف نيفطوليم.

ذولون : جاسوس الطرواد على معسكر الإغريق.

صوقوس: جندي طروادي.

آسيوس: بطل طروادي. سرفيدون: بطل طروادي.

إيذومين: بطل طروادي.

ثواس: بطل طروادي. [12]

أما بناء الزمان في (إلياذة هوميروس) فهو يستغرق ستة و خمسين يوما (56يوما) فنبينه انطلاقا من كل نشيد على حده كالآتي:

النشيد الأول: خصام آخيل و أقامنون : تستغرق وقائع هذا النشيد اثنين و عشرين يوما : تسعة أيام مدة الوباء و يوما مدة اجتماع الزعماء و اثني عشر يوما مدة إقامة زفس بين الإثيوبة.

النشيد الثاني: سياسة أقامنون و إحصاء سفن الإغريق و بلادهم و قبائلهم و رؤسائها : لا يستغرق هذا النشيد إلا قسما من اليوم الثالث و العشرين.

النشيد الثالث: براز منيلاوس و فاريس : كل وقائع هذا النشيد جرت كالنشيد السابق في اليوم الثالث و العشرين.

النشيد الرابع: كل الأحداث جرت في اليوم الثالث و العشرين و هو نقض العهدة و الوقعة الأولى. اليوم الذي جرت فيه وقائع النشيدين السابقين و النشيدين التاليين أيضا حتى أواخر النشيد السابع.

النشيد الخامس: بطش ذيوميذ مجرى وقائع هذا النشيد كالنشيد السابق و هي حلقة من حلقات يومه أيضا.

النشيد السادس: اجتماع قلوكوس بذيوميذ ووداع هكتور لزوجته أندروماخ : مجرى حوادث هذا النشيد في اليوم السابق.

النشيد السابع: براز هكتور و آياس : ينتهي اليوم الثالث و العشرون في هذا النشيد ببراز هكتور و إياس ، و اليوم الرابع و العشرون بعقد الهدنة ، و الخامس و العشرون بدفن القتلى ، و السادس و العشرون ببناء المعقل و حفر الخندق.

النشيد الثامن: الوقعة الثانية : تستغرق وقائع هذا النشيد يوما كاملا و هو اليوم السابع و العشرون لافتتاح إنشاد الإلياذة.

النشيد التاسع: إرسال الوفد لاسترضاء آخيل : يستغرق هذا النشيد و النشيد التالي ليلة واحدة (28).

النشيد العاشر: أوذيس و ذيوميذ يتجسسان العدو ليلا : مجرى وقائع هذا النشيد في الليلة التي جرت بها وقائع النشيد السابق.

النشيد الحادي عشر: المعركة الثالثة: مجرى وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن و العشرين لافتتاح الإلياذة و ستستمر وقائع هذا اليوم إلى النشيد الثامن عشر.

النشيد الثاني عشر:واقعة الخندق: وقائعه في اليوم الثامن و العشرين.

النشيد الثالث عشر: الواقعة الرابعة : مجرى وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن و العشرين أيضا.

النشيد الرابع عشر: يبتديء هذا النشيد و ينتهي أيضا في اليوم الثامن و العشرين.

النشيد الخامس عشر: الواقعة الخامسة و بسالة إياس: وقائعه أيضا في الثامن و العشرين.

النشيد السادس عشر:المعركة السادسة و مقتل فطرقل : وقائعه أيضا في اليوم الثامن و العشرين.

النشيد السابع عشر: المعركة السابعة: حول جثة فطرقل : وقائعه في مساء اليوم الثامن و العشرين.

النشيد الثامن عشر: تفجع آخيل على فطرقل ووصف الترس الذي صنعه له إله النار : وقائع هذا النشيد في اليوم التاسع و العشرين و ليلة الثلاثين.

النشيد التاسع عشر: تحفز الآلهة للقتال و بطش آخيل : مجرى هذه الواقعة في اليوم الثلاثين أيضا.

النشيد العشرون: مجرى هذه الوقائع في اليوم الثلاثين أيضا.

النشيد الحادي و العشرون: وقائع آخيل و قتال الآلهة : لا تزال وقائع هذا النشيد في اليوم الثلاثين.

النشيد الثاني و العشرون: لم تنته حتى الآن حوادث اليوم الثلاثين.

النشيد الثالث و العشرون:مأتم فطرقل ينتهي اليوم الثلاثون في أول هذا النشيد و في الليلة التالية يظهر فطرقل لآخيل و اليوم الحادي و الثلاثون للاحتطاب و الثاني و الثلاثون لإحراق الجثة و الثالث و الثلاثون للألعاب.

النشيد الرابع و العشرون: إعادة جثة هكتور إلى أهله . يستغرق هذا النشيد ثلاثة و عشرين يوما منها اثنا عشر يوما أثناء إقامة جثة هكتور في خيمة آخيل و أحد عشر يوما مدة الهدنة. [13]

وأما بناء المكان في (إلياذة هوميروس) فهو مبني على معسكر الإغريق و ساحة القتال و بلاد الطرواد ويتضح انطلاقا من الآتي ذكره:

النشيد الأول: خصام آخيل و أقامنون : تجري الحوادث أولا في معسكر الإغريق ثم في بلدة خريسا و أخيرا في الألمب .

النشيد الثاني: سياسة أقامنون و إحصاء سفن الإغريق و بلادهم و قبائلهم و رؤسائها : تجري وقائعه في معسكر الإغريق على جرف البحر ثم في معسكر الطرواد.

النشيد الثالث: براز منيلاوس و فاريس: مجرى أحداثه في ساحة القتال ثم داخل طروادة.

النشيد الرابع: نقض العهدة و الوقعة الأولى: مجرى وقائع هذا النشيد في السهل أمام طروادة.

النشيد الخامس: نفس أماكن وقوع أحداث النشيد الرابع.

النشيد السادس: اجتماع قلوكوز بذيوميذ ووداع هكتور لزوجته أندروماخ : مشهد وقائعه بين نهري سيمويس و إسكمندر ثم في إليون.

النشيد السابع: براز هكتور و آياس : مشهد الوقائع جميعه في ساحة القتال.

النشيد الثامن : الوقعة الثانية : مجرى معظم الحوادث على مقربة من شاطيء البحر و الباقي في أندية زفس.

النشيد التاسع: إرسال الوفد لاسترضاء آخيل : مشهد وقائعه على جرف البحر عند مرسى السفن.

النشيد العاشر: مشهد وقائعه في المعسكرين.

النشيد الحادي عشر: المعركة الثالثة : مشهد الحوادث في ساحة القتال.

النشيد الثاني عشر: واقعة الخندق : مشهد الوقائع في ساحة القتال .

النشيد الثالث عشر: الواقعة الرابعة : مشهدها بين معقل الإغريق و الساحل.

النشيد الرابع عشر:مكر هيرا ببعلها زفس : مشهد الوقائع في مضارب اليونان فطورإيذا ثم في ساحة القتال.

النشيد الخامس عشر: مشهد وقائعه في مضارب اليونان فطورإيذا ثم في ساحة القتال.

النشيد السادس عشر:المعركة السادسة و مقتل فطرقل : وقائعه في ساحة القتال.

النشيد السابع عشر: المعركة السابعة حول جثة فطرقل : وقائعه في ساحة القتال.

النشيد الثامن عشر: تفجع آخيل على فطرقل ووصف الترس الذي صنعه إله النار : مجرى حوادثه في مضارب آخيل و في منزل إله النار.

النشيد التاسع عشر: مصالحة أقامنون و آخيل . مجرى الحوادث في مكان خلوة أقامنون.

النشيد العشرون: تحفز الآلهة للقتال و بطش آخيل : مكان الوقائع هو مجلس مجلس الآلهة و ساحة القتال.

النشيد الواحد و العشرون: وقائع آخيل و قتال الآلهة : مجرى الحوادث في ساحة القتال.

النشيد الثاني و العشرون:مقتل هكتور : مجرى الحوادث في ساحة القتال.

النشيد الثالث و العشرون: مأتم فطرقل : مجرى الحوادث على شاطيء البحر.

النشيد الرابع و العشرون: إعادة جثة هكتور إلى أهله . مجرى الحوادث في خيمة آخيل و في إليون. [14]

و أما فيما يتعلق بلغة الإلياذة و أسلوبها فقد قيل إن هوميروس استخدم في ملحمته اللغة الإغريقية الأيونية الممزوجة بلهجات أخرى مثل الإغريقية الأيولية ، و أما عن أسلوبه فنكتفي بما ذكره ماثيو أرنولد حيث قال : إن أسلوب هوميروس يتميز بالخصائص التالية :

تسلسل الأفكار- البساطة- المباشرة- النبل- سرعة حركة الإيقاع. و يتنوع أسلوب هوميروس بين ثلاثة عناصر ، هي: السرد و الوصف و الحوار. [15]

هذه ،إذن، بطاقة تعريفية بهوميروس و إلياذته ، أماعن مفدي زكرياء

و (إلياذة الجزائر) فاسمه هو زكرياء بن سليمان بن يحي بن الشيخ الحاج سليمان ، و لقبه الشيخ أو آل الشيخ ، و لقبه العلمي و الأدبي شاعر النضال السياسي و الثورة المسلحة و يلقب أيضا بمفدي لأنه كان يقول دوما إنه يفدي الجزائر بكل كيانه روحه و عقله و نفسه جميعا. ولد في جمادى الأولى من سنة 1326هـ الموافق لسنة 1908م في بني يزقن إحدى قرى بني ميزاب بالجنوب الجزائري بمدينة غرداية في وقت كانت ترزح فيه الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي . نشأ نشأته الأولى في مسقط رأسه حيث درس في الكتاب ، و عندما بلغ السابعة من عمره صحبه والده معه إلى مدينة عنابة حيث أتم حفظ القرآن الكريم . و بفعل تجارة والده ظل مترددا بين مسقط رأسه و مدينة عنابة . و في حوالي سنة 1922م بعث به والده إلى تونس حيث حصل على الشهادة الابتدائية و المتوسطة و الثانوية . و يذكر أنه بدأ قرض الشعر منذ نعومة أظافره سنة 1925م بقصيدة في رثاء كبش الفداء بعيد الأضحى مطلعها :

لهفي على شاة لناقد قتدت للذبح وهي نقية الأدران

و ينتمي شعره إلى قسم الشعر الوطني و يتميز بأنه ماسح لمختلف عصور الأدب الجزائري ؛ فجزء منه ينتمي إلىما قبل الثورة ،و جزء إلى فترة الثورة ،و جزء إلى ما بعد الثورة علاوة على أنه متعدد المواطن ؛ فجزء منه كتب في الجزائر و آخر في تونس و الثالث في المغرب الأقصى ، هذا إضافة إلى أن بعضه كتب داخل السجون و بعضه الآخر خارجه. أما عن الخصائص الشكلية و الموضوعية ، فمن ناحية الموضوع شعر مفدي زكرياء ينتمي معظمه إلى الشعر الوطني و الثوري و التحرري ، و من ناحية الشكل يتميز شعره بقوة اللغة و رقي الأسلوب و التأثر بالقرآن الكريم و التراث العربي الإسلامي و النظم على شكل القصيدة

العمودية . و قد أثر في تكوين شخصيته العلمية ثلاثة عوامل كبرى ، هي: جو البعثة إلى تونس ، و عمه الشيخ صالح بن يحي و الزعيم عبد العزيز الثعالبي ، و الجو الوطني الحار الذي كانت تعيشه تونس في العشرينيات لا سيما بعد الحرب العالمية الأولى [1914-1918م] . و قد قضى في السجون ما يقارب سبع سنوات منقطعة ما بين سنتي 1937م و 1959م ؛ فقد كان مناضلا في صفوف جمعية طلبة شمال إفريقيا و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و حزب شمال إفريقيا و حزب جبهة التحرير الوطني . و يذكر مفدي زكرياء في مقابلة له مع الصحفي الأديب بلقاسم بن عبد الله في جويلية من سنة 1972م بأن له من الآثار الأدبية ما يلي:

1- تاريخ الأدب العربي عبر القرون.
2- تاريخ الصحافة الجزائرية.
3- تاريخ الفولكلور الجزائري.
4- أضواء على وادي ميزاب (دراسة تاريخية).
5- نحو مجتمع أفضل.
6- سبع سنوات في سجون فرنسا.
7- حوار المغرب العربي الكبير في معركة التحرير.
8- قاموس المغرب العربي الكبير (اللهجات).
9- العادات و التقاليد في المغرب الموحد.
10- الثورة الكبرى (أوبريت).
11- في العيد (رواية).
12- عوائق انبعاث اللغة العربية.
13- مائة يوم و يوم في المشرق العربي يحتوي على تسع و عشرين محاضرة بالكويت و قطر عن الثورة الجزائرية و أمسيات شعرية بمصر و لبنان.

14- الجزائر بين الماضي و الحاضر (محاضرة سياسية ألقيت بالمعهد الخلدوني بتونس في سنة 1936م).

15- مذكراتي.

16- الصراع بين الشعر الأصيل و الشعر الدخيل.

و له من الدواوين الشعرية :

1- اللهب المقدس (1961م).

2- انطلاقة.

3- من وحي الأطلس (1976م).

4- تحت ظلال الزيتون (1965م).

5- الخافق المعذب .

6- إلياذة الجزائر : ملحمة شعرية (1972م).[16]

توفي مفدي زكريا يوم 17 أوت 1977م بتونس.

و (إلياذة الجزائر) ثمرة جهد ثلاثة أعلام جزائريين هم : مفدي زكرياء و هو ناظم الإلياذة و مولود قاسم نايت بلقاسم و هو صاحب فكرة نظم الإلياذة و عثمان الكعاك ، و هذان الاثنان الأخيران هما من ساعد مفدي زكرياء بالمعلومات و التوجيهات و الانطباعات و الآراء منذ أن كانت الإلياذة فكرة إلى أن أصبحت كتابا قيما عظيما . و يقول مولود قاسم نايت بلقاسم في مقدمته للطبعة الثانية من إلياذة الجزائر في السابع من رمضان المكرم عام 1407هـ الموافق لـ 05 مايو 1987م : "و قد تحمس مفدي لفكرة نظم هذه الإلياذة بمجرد أن تلقى رسالتي في بدء 1392هـ (بدء 1972م) ، و عبر عن استعداده المطلق لتنفيذها ، و تعاونا نحن الثلاثة : المرحومان مفدي زكرياء و عثمان الكعاك ، و كاتب هذه السطور في وضع المقاطع التاريخية : فكنا نتهاتف ليلا خاصة ، و كانت البادرة في هذا الهتاف الليلي تعود غالبا إلى مفدي ، الذي كان ينظم الإلياذة ليلا ، و عندما يتوقف عند

نقطة تاريخية ما ، و يود التأكد و الاطمئنان يهتف من الرباط حيث كان مديرا لجامعة شعبية إلي في الجزائر و إلى الأستاذ عثمان الكعاك في تونس..... و هكذا كان ذلك الحوار الثلاثي الليلي عن تاريخ الجزائر ، بالذات ، و بصفة أخص ، و عن التاريخ المغربي عموما ، و عن التاريخ الإسلامي بصفة أعم ، بين هذه العواصم المغربية الثلاث ، لتستقر النتيجة و تتركز ، و تسجل ، و تخلد في عاصمة الجزائر ، مقر الملتقى ، و صاحبة البادرة في الإلياذة ، كنقطة الارتكاز و المنطلق ، تشع منها الإلياذة على مجموع المغرب ، و الأمة الإسلامية كلها ، لتخلد ذات يوم في التراث البشري العام ، تخلد خلود الإنسان .

هذا فضلا عن المراسلة المستمرة ، التي كنت أقترح فيها عليه بعض النقاط و أعرضها عليه لإدراجها في الإلياذة ، و التي كان يرسل إلي في ثناياها بالمقاطع أولا بأول ، لأدفع بها إلى الخطاط الأستاذ عبد المجيد غالب الذي ينقلها بخطه الجميل الرائع ؛ لأن خط مفدي ، و إن كان أحسن من خطي بكثير ، و بلا مقارنة ، إلا أنه لم يكن في مستوى الإلياذة" . [17]

و كانت (إلياذة الجزائر) تتألف من ستمائة و عشرة أبيات(610) إلى أن أتمها مفدي زكرياء إلى ألف بيت و بيت (1001) ؛ إذ يقول مولود قاسم نايت بلقاسم : "هكذا نشأت إلياذة الجزائر ، إذن ، و نمت و ترعرعت ووصلت في ظرف بضعة أشهر إلى ستمائة و عشرة أبيات أنشدها مفدي ، بصوته ، و نبراته ، و صرخاته ، و إشاراته ، و صيحاته ، و سخرياته ، و تهللاته ، و غضباته ، و تعجباته ، في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات من قصر الأمم (نادي الصنوبر) يوم 13 جمادى الثانية 1392هـ (24 يوليو 1972م) أمام أكثر من ألف طالب و أستاذ جامعي من القارات الخمس ، و بحضور مسؤولين كثيرين ، منهم الإخوة محمد الشريف مساعدية و الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي و المرحوم محمد بن يحي و العربي الطيبي كما حضر جزءا من إنشادها

المرحوم الرئيس هواري بومدين ، الذي استقبل مفديا في مكتبه بالرئاسة بعد اختتام الملتقى ، و عبر له عن كل إعجابه بالأثر الخالد الباقي ، و كنت وسيط الخير في ذلك اللقاء .

و بعد ذلك واصلت الإلياذة مسيرتها، أي واصل مفدي نظمها ، إلى أن بلغت الواحد بعد الألف ، أي الألف بيت و بيتا (1001) أو : الألف يوم و يوما ، من الأيام الخالدة ، في تاريخ هذه الأمة الخالدة ، و تمجيد الخلود ، و الخلود لله ، و العرب كانت تسمي التاريخ "الأيام"" [18].

و موضوع (إلياذة الجزائر) هو نظم تاريخ الجزائر شعرا لتمجيد بطولات الشعب الجزائري و تخليد ذكراه في حربه ضد المستعمر الفرنسي ، و في هذا يقول مولود قاسم نايت بلقاسم : "في آخر الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامي في وهران 1391هـ – 1971م أعلنا أن الملتقى السادس سينعقد بعاصمة الجزائر بمناسبة العيد العاشر لاسترجاع استقلالنا و الذكرى الألفية لتأسيسها مع المدية و مليانة على يدي بلكين بن زيري.

ووفاء بوعدنا ، ركزنا جدول أعمال هذا الملتقى على التاريخ ، لمراجعته ، و كتابته من جديد ، و تصفيته من جميع ما علق به عن روية و سبق إصرار من شوائب و تزييفات ، لمعرفة ماضينا ، و الاستفادة من تجاربه في بناء حاضرنا و مستقبلنا ، في الجزائر و المغرب الكبير ، و العالم الإسلامي الأوسع.

و لهذا طلبنا من المناضل الكبير ، الشاعر الملهم ، شاعر الكفاح الثوري السياسي ، و شاعر الكفاح الثوري المسلح ، الأستاذ مفدي زكريا، صاحب الأناشيد الوطنية (من جبالنا طلع صوت الأحرار) سنة 1932م ، و(فداء الجزائر روحي و مالي) سنة 1936م ، و(قسما) سنة 1955م ، و (اعصفي يا رياح) ، و نشيد جيش التحرير الوطني ، و نشيد العمال ، و نشيد الطلبة ، و اللهب المقدس .....– و بعضها وضعها في سجن السركاجي – أقول طلبنا منه أن يضع لنا نشيدا جديدا يجمع هذه الأناشيد كلها ، و يشمل فيه و به تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى اليوم ، مركزا على مقاومتنا لمختلف الاحتلالات

الأجنبية ، و على العهود الحضارية الزاهرة المتعاقبة ، و حاضرنا و مستقبلنا في كفاحنا لاستعادة جميع ثرواتنا ، و مقومات شخصيتنا و حصانتنا ، و بناء مجد جديد لأمتنا .

و هذا ما فعله مفدي ، و سمينا نشيد الأناشيد هذا : إلياذة الجزائر ! و قد تمت الإلياذة الآن ، و ننشرها كاملة في هذه الطبعة ، كما ننوي نشرها فيما بعد منفردة ، مرفقة بصور رمزية وواقعية تجسم بعض معانيها"[19].

عرفت (إلياذة الجزائر) عدة نشرات و بصور مختلفة ؛ إذ يقول مولود قاسم نايت بلقاسم : "و ها هي هذه الإلياذة الجزائرية العربية الإسلامية العالمية يعاد نشرها مرارا و بصور مختلفة : فتصدرها وزارة الثقافة و السياحة في ثلاث أسطوانات كبيرة ، و يصدرها حزب جبهة التحرير الوطني – وريث و امتداد و مكمل جبهة التحرير الوطني ، التي مجدها و خلدها مفدي في اللهب المقدس و الإلياذة– بواسطة ودادية الجزائريين في أوروبا في ست لوحات (كاسيطات) بالعربية و في ست أخرى بالفرنسية ، و ها هي وزارة التربية تعيد طبعها و توزيعها على المدارس و تلزم تدريسها ، و ها هي وزارة الشؤون الدينية تعيد طبعها ، و هي التي طلبت من مفدي نظمها ، ثم طبعتها ، و نشرتها ، و تستمر في ذلك خدمة للأدب الجزائري ، العربي العالمي ، و الروح الوطنية ، و تاريخ الجزائر ، و تاريخ الأمة الإسلامية عموما !

ثم هاهي المؤسسة الوطنية للكتاب تصدرها بدورها في هذه الطبعة الأنيقة ، الجميلة في شكلها ، لموافقة مضمونها مع رسوم رمزية تبرز مغزى بعض المقطوعات المتصلة وثيق الاتصال ببعض الأحداث الرئيسية من تاريخنا"[20].

و لمعالجة قضية الارتباط بين (إلياذة هوميروس) و (إلياذة الجزائر) نطبق المنهج الأسطوري Mythocritque

و ذلك كالآتي:

أولا : التجلي: Répétition

هناك نوعان من التجلي في (إلياذة الجزائر) : تجل تام أو كلي و تجل جزئي.

و يظهر التجلي التام أو الكلي في العنوان : فعنوان النص الأول(الإلياذة) وعنوان النص الثاني (إلياذة الجزائر)؛ و لفظة الإلياذة أو الإلياس – على حد قول سليمان البستاني – نسبة يونانية إلى إليون ، عاصمة بلاد الطرواد"[21].و لذلك أضاف مفدي زكرياء لفظة (الجزائر) حتى يميز قصيدته عن قصيدة هوميروس و يوضح لنا أنه إذا كانت ملحمة هوميروس منسوبة إلى بلاد الطرواد فملحمته هو منسوبة إلى الجزائر و كلاهما يمثل أرض المعركة ، و يظهر التجلي الجزئي في أن (إلياذة هوميروس) قائمة أساسا على غضبة بطل الأبطال آخيل الذي بفضله انتصر اليونانيون على الطرواديين و أن (إلياذة الجزائر) قائمة أساسا على غضبة الشعب الجزائري ممثلا في البطل الجزائري الذي بفضله انتصر الجزائريون على الفرنسيين .

ثانيا: المطاوعة :Relation

تتضح المطاوعة في جانبين اثنين : جانب التماثل و التشابه و جانب الاختلاف ، فالجانب الأول تمثله أوجه التشابه بين النصين ، و الجانب الثاني تمثله أوجه الاختلاف بين النصين التي تكشف عنها التغييرات و التشويهات .

أ– التماثل و التشابه (أوجه التشابه):

تتمثل أوجه التشابه فيما يلي :

1– ينتمي كلا النصين إلى جنس أدبي واحد هو الملحمة فكلاهما قصيدة شعرية قصصية بطولية ؛ غير أن (إلياذة الجزائر) لا يمكن أن نسميها ملحمة بأتم معنى الكلمة ذلك أنها تفتقر إلى الحوار و هو من أبرز عناصر الملحمة و أهمها . و "في الملاحم يتغنى الشعب بماضيه و عجائب هذا الماضي على أنه الصورة المثلى التي يحل فيها الشعب آماله و مثله العليا ، إرضاء لعقائده و نزعاته .... "[22]

2- كلا النصين يروي قصة حرب ؛ فالنص الأول يحكي قصة حرب اليونان و الطرواد و النص الثاني يحكي قصة حرب الجزائر و فرنسا.[23]

3- الحقيقة التاريخية ؛ فالنص الأول يحكي قصة حرب وجدت فعلا في التاريخ حيث يرجع المؤرخون حرب طروادة و اليونان إلى ما بين 1280ق.م و 1183ق.م حيث حاصرت اليونان طروادة، و النص الثاني يحكي قصة حرب الجزائر و فرنسا حيث احتلت فرنسا الجزائر مدة قرابة قرن و نصف ما بين سنتي 1830م إلى 1962م . فبالرجوع إلى تاريخ الجزائر نجده مبنيا على العصور التالية:

العصرالقديم أو الحجري

عصر الدولة الفينيقية [146-880ق.م]

عصر الدولة الرومانية[146-ق.م – 431م]

عصرالدولة الفاندالية [431- 534م]

عصر الدولة البيزنطية [534-647م].

العصر العربي [160هـ / 776م- 361هـ / 972م]:

1-عصر الدولة الرستمية [160-296هـ / 776-909م]

2-عصر الدولة الإدريسية[172-311هـ / 788-923م]

3- عصر الدولة الأغلبية[184-296هـ / 800-909م]

4- عصر الدولة العبيدية الفاطمية [296-361هـ / 909-972م]

العصر البربري:[361هـ / 972م- 962هـ /1554م]

1- عصر الدولة الزيرية الصنهاجية [361-405هـ / 972-1014م].

1- الدولة الحمادية[405-547هـ / 1014-1153م].

2- عصر الدولة المرابطية[472-539هـ / 1079-1145م].

3- الدولة الموحدية المؤمنية[524-668هـ / 1130-1269م].

4- الدولة الحفصية[943-627هـ / 1229-1536م].
5- الدولة المرينية[796-668هـ / 1269-1393م].
6- الدولة الزيانية (دولة بني عبد الواد)[962-633هـ / 1235-1554م].
العصر التركي عصر الدولة الجزائرية – التركية العثمانية[920هـ / 1514م – 1246هـ / 1830م]:
1- عصر الفتح التركي :[950-920هـ / 1514-1544م].
2- عصر الباي لاربايات : [995-950هـ / 1544- 1587م].
3- عصر الباشوات:[1069-995هـ / 1587-1659م].
4- عصر الآغاوات:[1081-1069هـ / 1659- 1671م].
5- عصر الدايات :[1246-1081هـ / 1671-1830م].
عصر الاحتلال الفرنسي [1246هـ / 1830م – 1962م].
عصر الدولة الجزائرية المستقلة [1962م – إلى يومنا هذا].
و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على تعاقب عدة دول مستعمرة على الجزائر التي كانت محط أطماع الجميع . [24]

4- اللغة الراقية الأصيلة ؛ ذلك أن لغة إلياذة هوميروس هي اللغة الأيونية و لغة إلياذة الجزائر هي اللغة العربية الفصيحة ، لكن هذا لم يمنع هوميروس من استخدام بعض اللهجات التي كانت منتشرة في اليونان.
ب- التشويهات و التغييرات (أوجه الاختلاف):
1- عدد أبيات (إلياذة هوميرس) نحو 15000 أو 16000 بيت بينما عدد أبيات (إلياذة الجزائر) 1001 بيت.

2- تحكي (إلياذة هوميروس) قصة تاريخية تعود إلى ما قبل ظهور المسيح بينما تحكي (إلياذة الجزائر) قصة تاريخية تعود إلى ما بعد ظهور المسيح – عليه السلام – و ما بعد ظهور الإسلام ؛ فما بين القصتين نحو 32 قرنا.

3- تنتمي (إلياذة هوميروس) إلى الأدب الوثني بينما تنتمي (إلياذة الجزائر) إلى الأدب الإسلامي.

4- هوميروس مشرك بالله – تعالى- بينما مفدي زكرياء مسلم .

5- تنتمي (إلياذة هوميروس) إلى الأدب الإغريقي بينما تنتمي (إلياذة الجزائر) إلى الأدب العربي .

6- لغة (إلياذة هوميروس) هي اللغة الإغريقية الأيونية بينما لغة (إلياذة الجزائر) هي اللغة العربية الفصيحة.

7- تشيد (إلياذة هوميروس) بمساعدة قوى الآلهة على رأسها إله الآلهة زوس بينما يشكر مفدي زكرياء الله – تعالى – أولا و الجزائر ثانيا لأنهما أمدا الأبطال بالقوة.

8- تنتمي (إلياذة هوميروس) إلى الأدب الأسطوري بينما تنتمي (إلياذة الجزائر) إلى الأدب الواقعي ؛ و في هذا قال مولود قاسم نايت بلقاسم : "و سميناها (إلياذة الجزائر) و إن كانت تمتاز عن (إلياذة هوميروس) بالفارق العملاق : فبينما هذه الأخيرة ، أي الإلياذة اليونانية لا تروي إلا أساطير نجد الإلياذة الجزائرية قد خلدت أمجادا حقيقية و سطرت تاريخ وقائع و أحداث هي من روائع الدهر ، لا من خلق الجن ، و لا من اصطناع شاعر ، و لكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان"[25].

9- موضوع (إلياذة هوميروس) جزئي فهو يتعلق بأحداث أيام قلائل من السنة العاشرة للحصار و القتال و يركز أساسا على بطولة بطل الأبطال آخيل بينما موضوع (إلياذة الجزائر) كلي فهو يحكي بطولة شعب بأكمله للا بطولة فرد واحد فأبناء الشعب الجزائري تعاونوا و اتفقوا و بطشوا بطشة رجل واحد في ثورات الجزائر المتعددة .

9- سبب نشوء حرب اليونان و الطرواد سبب عاطفي بالدرجة الأولى بالنسبة إلى هوميروس بينما سبب نشوء حرب الجزائر متعدد الجوانب بالنسبة إلى مفدي زكرياء ؛ فهو عاطفي يتعلق بالشرف إذا نظرنا إلى حادثة المروحة ، و هو اقتصادي إذا نظرنا إلى الديون المترتبة على فرنسا لسد ثمن القمح ، و هو دبلوماسي إذا نظرنا إلى الإهانة التي لحقت بالجانبين الجزائري و الفرنسي ، و هو سياسي إذا نظرنا إلى رغبة فرنسا في السيادة و طموحها إلى السيطرة ، و هو استراتيجي إذا نظرنا إلى أطماع فرنسا في الجزائر التي تعتبر موقعا استراتيجيا مهما و ثروة كبيرة و كنزا عظيما. [26]

10- الهدف من إنشاء (إلياذة هوميروس) هو الإشادة ببطولة الإغريق و قدرتهم على القتال من جهة و ذكائهم و فطنتهم و دهائهم من جهة ثانية بينما الهدف من إنشاء مفدي زكرياء لـ (إلياذة الجزائر) هو تسجيل تاريخ الجزائر من جهة ، و تمجيده من جهة ثانية بالإعلاء من شأن الجزائر و ذلك على مستويين : مستوى الجمال أي الجمال الطبيعي ، و مستوى الجلال أي المجد التاريخي .

11- تنوع أسلوب هوميروس بين السرد و الوصف و الحوار بينما يركز مفدي زكرياء على أسلوب السرد و الوصف فقط .

12- أنشئت حول هوميروس ما يصطلح على تسميته بالمشكلة الهومرية و تعني أن هوميروس و آثاره مشكوك فيهما في التاريخ تماما مثلما شك البعض في الأدب الجاهلي العربي ، بينما نحن اليوم متأكدون كل التأكد من وجود مفدي زكريا و إلياذته تاريخيا فضلا عن صحة نسبتها إليه. و تبدأ المشكلة الهومرية في العصر السكندري عندما بدأ الشك في نسبة الملحمتين إلى هوميروس حيث رفضت جماعة الفاصلين

Chorizontes

أن يكونا لشاعر واحد و قال بعضهم إن الإلياذة من نظم هوميروس الشاب المتحمس أما الأوديسا فهي من نتاج سنوات عمره الأخيرة أي فترة النضج و التعقل . و أول من أعطى

المشكلة الهومرية الطابع الأكاديمي المثمر هو العلامة الألماني الشهير ف.أ . فولف بكتابه (مدخل إلى هوميروس)المنشور عام 1795م و سمي أتباع نظريته بالفولفيين وهذه النظرية تتمثل في القول بأن ملاحم هوميروس لم تدون في عصر نشأتها الذي لم يعرف فن تدوين الأدب من جهة و من جهة أخرى لا يمكن حفظها عن ظهر قلب لأنها طويلة جدا و يعتبر جوته الألماني من أشهر أتباع النظرية الفولفية ، هذا هو الاتجاه الأول أما الاتجاه الثاني فهو معارض للنظرية الفولفية بقيادة رائد الرومانسية المثالية الشاعر شيللر ؛ فقد آمن بأن عددا من أتباع أو أبناء هوميروس هم الذين ألفوا الملحمتين (الإلياذة و الأوديسة) تأليفا جماعيا [27]

ثالثا: الإشعاع :

Analogie

(إلياذة الجزائر) وثيقة تاريخية قيمة تحيطنا علما بتاريخ الجزائر و تسمح للمتعلم و الدارس و الطالب إذا ما حفظها عن ظهر قلب بتكوين صورة عامة عن تاريخ الجزائر و معرفة أهم المحطات التاريخية في الصراع الفرنسي – الجزائري ، و أشهر أعلام الجزائر قديما و حديثا لا سيما الأبطال ، و أشهر مدن الجزائر و مناطقها. و يرى بعضهم أن هدف مفدي زكرياء من نظم إلياذته أيضا هو الرغبة في إثبات موهبته و قدرته على نظم القريض ليضع نفسه في سلك المبدعين الكبار. [28]

الصلة التاريخية و علاقة التأثير و التأثر: يتضح هذا الجانب من خلال العلاقة الثلاثية التي ربطت بين مفدي زكرياء و قاسم نايت بلقاسم و عثمان الكعاك كما ذكرنا ذلك سابقا ؛ إذ كان اقتراح التسمية (الإلياذة) و اقتراح المحتوى باتفاق بين الجميع و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على اطلاع الجميع على (إلياذة هوميروس) و بهذا اتخذت ظاهرة التأثير و التأثر خطا يبدأ بالاطلاع و ينتهي بالتقليد لكنه ليس تقليدا كليا و هذا ما وضحناه من خلال تطبيق المنهج الأسطوري . و شكل هذا الاطلاع كان عن طريق قراءة الكتب سواء

تعلق الأمر بالكتب الأجنبية الأصلية في لغتها أو المترجمة إلى العربية بخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الجزائر كانت محتلة من طرف فرنسا.

زبدة القول أن ثمة علاقة تربط الأدب الإغريقي بالأدب الجزائري و بعبارة أخرى الأدب الغربي بالأدب العربي و هو ما نلحظه في نظم مفدي زكريا لـ (إلياذة الجزائر) على غرار نظم هوميروس لـ (الإلياذة) و هذا ما يسمح لنا بالقول بعالمية الأدب على حد تعبير محمد غنيمي هلال . و الخلاصة أن ثمة أوجه تشابه و أوجه اختلاف بين الأثرين و لا مجال هنا لاستخلاص المبدع من المقلد لأن كليهما شاعر كبير و مبدع متمكن و فريد عصره في مجال الملحمة و هكذا أصبح للعرب عموما و الجزائر خصوصا ملاحم تشهد لها بالإبداع و التميز.

الهوامش:

[1] ، [2] (الأدب : تعريفه – أنواعه– مذاهبه): أنطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس – لبنان ، 2005م ، ص (51-68).

[3] يُنظر:(دراسات في الأدب الجزائري الحديث): أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط5 ، 2007م ، ص (121-124).

[4] (المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث) : صالح خرفي ، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983م ، ص (108-109).

[5] المرجع السابق ، ص (121-124).

[6] انظر: المرجع نفسه .

[7] صالح خرفي : المرجع السابق ، ص (108-109).

[8]من الإنترنت.

[9] (مقدمة الإلياذة): سليمان البستاني ، ج1 ، سلسلة الروائع ، دار المشرق ، بيروت–لبنان ، ط4 ، 1981م ، ص (32-29).
[10]من الإنترنت.
[11]سليمان البستاني : المرجع السابق ، ص (72-42).
[12] ، [13]، [14] يُنظر: (إلياذة هوميروس): سليمان البستاني ، ج1+ج2 ، سلسلة الروائع ، دار المشرق ، بيروت–لبنان ، ط3 ، 1979م .
[15]من الإنترنت.
[16]: (مفدي زكرياء) :محمد ناصر ، نشر جمعية التراث ، العطف– غرداية– الجزائر ، 1989م ، ص (172-5).
[17] (إلياذة الجزائر) :مفدي زكرياء ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987م ، ص (12-11).
[18] المرجع نفسه ، ص12.
[19] المرجع نفسه ، ص (10-9).
[20] المرجع نفسه ، ص 15.
[21](مقدمة الإلياذة): سليمان البستاني، الجزء الأول ،المرجع السابق ، ص29.
[22](الأدب المقارن): محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر ، أغسطس 2003م ، ص 124.
[23]راجع كتب التاريخ الجزائري :
-(تاريخ الجزائر في القديم و الحديث): مبارك الميلي ، تحقيق و تصحيح : محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت.
- (تاريخ الجزائر العام) : عبد الرحمن الجيلالي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط7، 1415هـ / 1994م .

[24] المراجع نفسها إضافة إلى :
– (تاريخ الجزائر الثقافي): أبوالقاسم سعد الله ، 9 أجزاء ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت– لبنان ، ط1 ، 1998م .

[25] (إلياذة الجزائر) :مفدي زكرياء ، المقدمة ، المرجع السابق ، ص 12.
[26] انظر :
–(تاريخ الجزائر العام) :عبد الرحمن الجيلالي ، الجزء الثالث ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ط7 ، 1415هـ / 1994م .

[27]: (الشعر الإغريقي): أحمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، مايو ، 1984م ، ص (15–27).
[28] (مفدي زكريا : شاعر الثورة): سهام خرفي ، سلسلة مشاهير الأدب العربي ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1426هـ / 2005م ، ص (21–24).